مسرحيات من فصل

١ — أغنية التَّم .
٢ — الدُّب .
٣ — مفجوع رغم أنفه .
٤ — ضرر التبغ .

أغنية التَّم

أشخاص الرواية :

ڤاسيلى ڤاسيليڤتش سڤتلوڤيدوف ، ممثل هزلى ، له من العمر ثمان وستون سنة .

نكيتا إيڤانيتش ، ملقن المسرح ، شيخ أيضاً . .

(تجرى الرواية داخل مسرح ريفى ليلا . وذلك بعد الانتهاء من حفلة التمثيل . المسرح خاو . وإلى اليمين منه عدة أبواب غير مزينة وقد ثبتت بلا إحكام ، وكلها تؤدى إلى غرفة التزيين والملبس ، وفى صدر المسرح ، وإلى يساره ، أكوام من سقط المتاع . وفى وسطه مقعد مقلوب . الوقت ليل . . ظلمة حالكة . . . . . .

سڤتلوڤيدوف ، فى لباس المهرج ، يخرج من غرفة التزيين والملبس ، يحمل شمعة بيده ويقهقه)

سڤتلوڤيدوف : حقًّا . . . إنها لنكتة . . . بل مهزلة المهازل . . . لقد غفوت فى غرفة التزيين والملبس . . انتهى التمثيل منذ وقت طويل وخرج كل من كان فى المسرح . وأما أنا ، فبقيت فى مكانى هادئاً . . أرسل الشخير تباعاً ، إيه أيها الشيخ المتضجر . . إنك لأشبه بكلب عتيق . . . تكومت على كرسيك وغفوت . . . إنك

لرجل ذكى تستحق الثناء (يصرخ) إيغوركا ! . . إيغوركا ! . . يا للشيطان . . أين أنت يا بتروشكا ! . . أغفوتما أيها اللعينان ؟ . . فليتنفس من فميكما مائة شيطان وعفريت . . إيغوركا ! . . (يعدل المقعد . ويجلس عليه ويضع الشمعة على الأرض) : لا أسمع شيئاً سوى الصدى . . نقدت اليوم كلاً من إيغوركا وبتروشكا ثلاثة روبلات مقابل ما أبدياه من جهد فى التمثيل ثم خرجا . . وهيهات أن أعثر عليهما ولو بمساعدة كلاب الأثر . . ويغلب على ظنى أن هذين اللعينين أقفلا علىّ باب المسرح (يهز رأسه) إننى ثمل .. أفّ . . كم صببت فى جوفى من النبيذ والجعة من أجل « الجمعية الخيرية » يا لله . . إننى أشعر كأن النار تلتهم جسمى . . وكأن اثنى عشر لساناً تهجع فى فمى . . إنه لأمر مستقبح حقاً (يتوقف) يا للغباوة . . . سكرتَ أيها الأحمق العتيق (يخاطب نفسه) لقد كنت وأنت تجرع الخمر فرحاً مسروراً دون أن تدرك الداعى لسرورك هذا . . أف . . رباه . . إن خاصرتىّ تتمزقان ، ورأسى يتصدع ، وارعشة تنتاب جسمى كله ، ونفسى فاترة قاتمة . . . وكأنها ترقد فى أعماق قبر . . فإذا كنت لا أشفق على نفسى ؛ فعلىّ على الأقل أن أشفق على شيخوختى . . (يتوقف) أجل . . الشيخوخة ، فكيفما راوغت وتشجعت وماجنت فلقد عشت أيامى . . ثمان وستون سنة انصرمت . . بخٍ . . بخٍ . . احتراماتى ! . . لامفرّ من النهاية . . لقد أفرغت الزجاجة كلها فى جوفى ، ولم يبق فى قعرها إلا الشىء القليل ، والقليل جداً . . بقيت الثمالة . أجل . . هكذا هى الحياة يا فاسيوشا . . فعليك — سواء أردت أم لم ترد — أن تعوّد نفسك تمثيل دور الموت ! . . وهل ملك الموت فى مكان قصى ؟ (يتطلع إلى الأمام) ويلاه . . إننى أشاهد لأول مرة هذا

المسرح فى ظلمة الليل . بالرغم من مضى خمس وأربعين سنة على عملى فيه . حقاً إنه لشىء طريف (يقترب من صف الأنوار) لا أرى شيئاً . . . غير أن كوة الملقن تتراءى لناظرى قليلا ، وهذا هو صندوق الرسائل، ومقرأ النوتات أيضاً . . . وكل ما تبقى ظلام حالك بل هوة دكناء سحيقة . . إنها لأشبه بالقبر الذى يختفى فيه الموت . . (أح) . . ما هذا البرد ؟ . . ريح تهب فى قاعة المسرح كما تهب فى مدخنة الموقد . . هاهنا المكان الحقيقى الذى تستدعى فيه الأرواح . . يا للشيطان . . إنها لحالة مرعبة تسرى الرعدة فى الجسم . (يصرخ) : إيغوركا، بيتروشكا . . يا للأبالسة . . أين أنتما ؟ . . رباه . . مالى أردد هذه الشتائم؟ علىّ ألا أستعمل الألفاظ النابية . . وأن أهجر الخمر . . لقد أصبحت طاعناً فى السن وحانت ساعتى . . فالناس فى الثامنة والستين من عمرهم يتفرغون إلى الصلاة والعبادة، ويتأهبون لاستقبال الموت. . وأما أنا . . آه . . يا إلهى لا أزال أردد العبارات البذيئة ؛ وهيئتى هيئة سكير مدمن ، وهأنذا أرتدى رداء المجون . . كلا . . علىّ أن أسرع وألقى بهذا الرداء جانباً ، يا للهول إنى إن بقيت على هذه الحالة طيلة الليل فيحتمل أن أهلك رعباً (يذهب إلى غرفة التزيين والملبس ، وفى هذا الوقت يخرج نيكيتا إيفانيتش من غرفة التزيين وهو يرتدى رداء أبيض اللون) . .

سفتلوڤيدوف : (يرى نيكيتا إيفانيتش ، فيصرخ من الذعر ، ويرتد على عقبيه) من أنت ؟ . . ماذا تريد ؟ . . من تريد ؟ . . (يضرب الأرض بقدميه) من أنت ؟ . .

نيكيتا إيفانيتش : هذا أنا !

سفتلوفيدوف : من أنت ؟

نيكيتا إيفانيتش : (يقترب منه على مهل) هذا أنا ، الملقن نيكيتا إيفانيتش .

سفتلوفيدوف : (يرتمى على المقعد خائر القوى ، ويتنفس بمشقة وهو يرتعش فرقاً) رباه من هذا ؟ أأنت نيكيتوشكا ؟ ماذا تفعل هنا ؟

نيكيتا إيفانيتش : إننى أقضى الليل فى غرفة التزيين ، فرجائى إليك ألاّ تطلع ألكسى فوميتش على جلية الأمر . . ثق بأننى لا أجد مكاناً آوى إليه .

سفتلوفيدوف : آه يانيكيتوشكا . . . دعانى الجمهور هذه الليلة ست عشرة مرة للظهور على المسرح ، وقدّم لى ثلاث باقات من الزهور ، وأشياء كثيرة أخرى . . . لقد كاد الناس يطيرون فرحاً . . . لكن أحداً منهم لم يحاول إيقاظ هذا الشيخ السكير ولم يحمله إلى بيته . . نيكيتوشكا . . إننى شيخ . ولى من العمر الآن ثمان وستون سنة . . إننى مريض . . ونَفَسى يتلاشى شيئاً فشيئاً . . (يلقى بنفسه على كتف الملقن ويبكى) لا تذهب يا نيكيتوشكا إننى شيخ عاجز . . لقد حانت ساعتى يا للهول . . يا للهول . .

نيكيتا إيفانيتش : (بلطف واحترام) فاسيلى فاسيليتش . . لقد آن لك أن تعود إلى بيتك هيا . .

سفتلوفيدوف : لن أذهب . . . ليس لى بيت . . كلا . . كلا . . . كلا . . .

نيكيتا إيفانيتش : رباه . . أنسيت أين تسكن ؟

سفتلوفيدوف : لا أريد الذهاب إلى بيتى لا أريد . . . إننى وحيد ولا أهل لى ولا أقارب . لا زوجة لى ولا أطفال . . إننى وحيد مثل الهواء فى الخلاء ! . . سأموت ولن يذكرنى أحد . . إننى أخشى البقاء فى بيتى وحيداً . . ليس هناك من يشمل هذا السكير بعنايته . .

ليس له من يهدهده ويحمله إلى فراشه . . فمن أنا ؟ وأى نفع يرجى منى ؟ ومن يحبنى ! لا يحبنى أحد يانيكيتوشكا . .

نيكيتا إيفانيتش : (بعين دامعة) كفاك أن الجمهور يحبك !

سفتلوفيدوف : لقد خرج الجمهور بعد التمثيل وتفرق ، إنه يغط فى نومه الآن وقد أسدل ستار النسيان على ممثله الهزلى ، كلا . . إننى أصبحت على هامش الحياة . . وليس لى من يحبنى فلا زوجة لى ولا أطفال . . .

نيكيتا إيفانيتش : أهذا هو ما يحزنك ؟

سفتلوفيدوف : إننى إنسان مخلوق حى . . وتجرى فى عروقى دماء لا ماء ! إننى شريف ومتحدر من أرومة كريمة . . كنت قبل أن أتردى فى هذه الهوة جنديًا فى مدفعية الجيش ، كنت شابًا قويًا جميلا أميناً جريئاً متحمساً . . رباه أين ذهب ذلك كله ؟ وأى ممثل كنت فيما مضى من الأيام ؟ (ينهض مستنداً إلى يد المنقن) أين ذهب ذلك كله ؟ أين هى تلك الأيام ؟ . . . رباه إننى لأتطلع إلى هذه الهوة الآن وأذكر كل شىء ، لقد ابتلعت هذه الهوة خمساً وأربعين سنة من حياتى ، وأية حياة حافلة كانت يا نيكيتوشكا ؟ إننى لأسدد نظرى إلى أعماق هذه الهوة فأرى فيها كل شىء واضحاً بجميع دقائقه ، أرى مرح الشباب والإيمان ، وحرارة العواطف ، وحب النساء ، أجل . . النساء يانيكيتوشكا . .

نيكيتا إيفانيتش : آن لك أن تنام . ڤاسيلى ڤاسيلتش ، هيا . هيا . .

سفتلوفيدوف : أذكر أنه حدث — لما كنت ممثلا فتيًا ، وكانت حرارة عواطفى فى أوجها — أن أعربت لى إحدى الفتيات عن إعجابها بتمثيلى وأحبتنى . . كانت فتاة رشيقة ، ممشوقة القد كشجرة الحور ، غضة ، بريئة ، شريفة ، تلتهب غيرة مثل فجر الصيف ، فابتسامتها

اللطيفة تتألق نوراً ، وعيناها الزرقاوان تشعان بالبريق ، لو سلطتا على ظلام حالك لبددتاه وانتشر الضياء . إن أمواج البحر تتكسر على الصخور ، ولكن على أمواج شعرها المجعد تتكسر الجلاميد وكتل الجليد ! . . أذكر مرة أنني وقفت أمامها ، كما أقف أمامك الآن وكانت رائعة وقتئذ أكثر من أى وقت مضى ؛ فألقت على نظرة لن أنساها حتى فى القبر ، كلها دلال . . قطيفة مخمل . . عمق بريق . . صبا . . سكرت لمرآها هذا ، وسقطت أمامها راكعاً ، وقد غمرنى شعور بأننى أسعد مخلوق (يتابع بصوت خافت) وكانت تقول لى : اهجر المسرح . . اه . . . جر . . . ال . . . مس . . . ر . . . . ح . . . أتفهم ما أقوله لك ؟ . كان بوسعها أن تحب ممثلا لكنها أبت على نفسها أن تكون زوجة له . . وأذكر أننى مثلت فى ذلك اليوم دور الماجن المنحط . . . كنت أقوم بدورى وأحس أن عينى تتفتحان على حقيقة ما . . لقد أدركت إذ ذاك أن ما يسمونه فنًا مقدساً إن هو إلا خداع وهذيان ، وأننى لست إلا عبداً مهرجاً وألعوبة يتلهى بها الناس . . أجل فهمت الجمهور وقتئذ فلم أعد أثق بالتصفيق ولا بباقات الزهور ، ولا بالتظاهر الحماسى . . كان الجمهور يصفق لى ويبتاع رسمى ومع ذلك كنت غريباً عنه ، بل رجساً ، فاجراً على وجه التقريب ، كان يتحكك بى ويتعرف إلى لإرضاء خيلائه فقط ، لكنه لا يتنازل أن يزوجنى إحدى شقيقاته أو بناته . . إننى لا أصدق الجمهور (يهبط على المقعد) إننى لا أثق به . .

نيكيتا إيفانيتش : لقد ضمر وجهك يا ڤاسيلى ڤاسيليتش فغدوت مخيفاً . أرجوك أن تذهب معى إلى بيتك . .

سفتلوفيدوف : كنت فى شبابى أتمتع بتمام صحتى وعافيتى ، وبعد تلك

القصة ــ قصة الفتاة ــ أصابنى السقم ، وأخذت أتسكع بلا هدف ؛ وأعيش مضطرباً ذاهلا . لقد مثلت أدوار الهازلين الماجنين ، فأفسدت العقول والنفوس ، فانحط لسانى واعوج ! . . وفقدت صوتى وملامحى ! . . لقد مضغتنى تلك الهوة السوداء وابتلعتنى . . . إننى لم أشعر بذلك سابقاً وأما اليوم فقد استيقظت فتطلعت إلى الخلف فوجدت نفسى أجر ثمانى وستين سنة . وجدت الشيخوخة . لقد غنيت أغنيتى (ينتحب) لقد غنيت أغنيتى . .

نيكيتا إيفانيتش : عزيزى ڤاسيلى ڤاسيليتش . . أبتاه . . هدئ من روعك (يصرخ) بتروشكا ! . . إيغوركا ! . .

سفتلوفيدوف : لدىّ المواهب ، والقوة ، والفصاحة ؛ وفى هذا الصدر (يدق بقبضته على صدره) أوتار جمة تصدح بجميع الألحان ، آه . . سأختنق . . اسمع أيها الشيخ . . دعنى أتنفس قليلا . . اسمع هذا المقطع من رواية « بوريس غودونوف » :

« ظل إيفان الرهيب تبنانى . . .
ومن القبر أحيا ديمترى . . .
وبذا الاسم دعانى . . .
هيج الشعوب إلى جانبى .
وكان "بوريس" من قربانى . . .
أنا ولى العهد . . كفانى الرضوخ لتلك البولونية المعتزة . .
كفانى . . . » .

والآن (بسرعة) قف . . استمع إلى هذه المقطوعة . . . من « الملك لير » تصور سماء تكاثفت فيها الغيوم القاتمة . . والمطر يهطل . . والرعد ر ر ر . . . والبرق ز ز ز . ثم :

« اغضبى أيتها الرياح . .

واعصفى . . حتى تتمزق الوجنات . .
وأنت أيتها المياه الهاطلة . .
تدفقى كريح زعزع . .
واغمرى الأبراج
وابلغى "ديك الرياح" . .
وأنت أيتها النيران الكبريتية المتأججة . .
يا مكتسحة الأحراج . .
يا نذيرة سهام الرعود القاصفة . .
هبى فوق رأسى . . وألهبى شيبتى
وأنت أيتها الرعود السماوية المزعزعة
انقضى على الطبيعة دفعة واحدة .
واسحقى الكرة الأرضية بأسرها . .
وبعثرى فى الهواء تلك البذور
التى تلد الناس الكافرين بالنعم . . . »

(على عجل) إلىّ إلىّ بكلمات النديم . . هات جواب النديم إذ ليس لدى متسع من الوقت . . .

نيكيتا إيفانيتش (يمثل دور النديم) : « إيه إشبينى . . أفضل لك أن تقبع تحت سقف البيت من أن تتسكع فى الخارج تحت هذا المطر المنهمر . . فنصيحتى لك أيها العم أن تسأل بناتك الصفخ ، فهذه ليلة ممطرة ، لا تميز فى مصيبتها بين الحكيم والأحمق » . .

سفتلوفيدوف : « وأنت أيتها النيران والعواصف . .
ازأرى بكل ما أوتيت من قوة . .
اعصفى ، وحطمى ، واحرقى . .
فما الذى يدعوك إلى الشفقة بى ؟ . .

أنتن لستن بناتى . .
ولن ألومكن على قسوتكن . .
ولستن من أورثتهن ملكى . .
وأوليتهن حنانى وعطفى » . .

قوة . . موهبة . . فنان . . لنأخذ شيئاً آخر قديماً يهزّ العواطف. لنأخذ مقطوعة من «هاملت» .. (يقهقه بملء شدقيه) سأشرع ، هيّا (يمثل دور هاملت) . «ها هم أولاء العازفون على المزامير... هات المزمار (يوجه الكلام إلى نيكيتا إيفانيتش) يخيل إلىّ أنك تضايقنى كثيراً » .

نيكيتا إيفانيتش : «ثق أيها الأمير أن الداعى لذلك كله هو حبى لك وإخلاصى للملك » .

سفتلوفيدوف : « إن هناك أموراً لا أدرك كنهها كل الإدراك. اعزف لى شيئاً »

نيكيتا إيفانيتش : « لا أستطيع أيها الأمير » .

سفتلوفيدوف : « أناشدك الله أن تعزف شيئاً» .

نيكيتا إيفانيتش : « إننى لا أحسن العزف على المزمار بتاتاً » .

سفتلوفيدوف : « إن العزف على المزمار سهل كالكذب ! . . . خذ المزمار بيديك هكذا ، وضع شفتيك هنا ، وأصابعك هناك . . . واعزف . . . »

نيكيتا إيفانيتش : « إننى لم أتعلم العزف قط » .

سفتلوفيدوف : « احكم الآن أنت بنفسك ... من أنا بنظرك ؟ أتريد أن تلعب بى وأنت عاجز عن اللعب بهذا المزمار ؟ . . . اعتبرنى كما تهوى وتحب ، وبوسعك أن تذيقنى مر العذاب ، لكنك لن

تستطيع اللعب بى ، (يضحك سفتلوفيدوف ، ويصفق ويخاطب نفسه قائلا) : عافاك . . أعد ، عافاك ، يا للشيطان . . . أية شيخوخة هذه ؟ . . إنه لمن السخف أن أدعوها شيخوخة . . وإنما هى قوة تجرى فى عروقى . . هذا هو الشباب . . النضارة . . الحياة . . فحيث تكون المواهب يا نيكيتوشكا لن يكون محل للشيخوخة . . . آه . . . وهنت قواى . . وخارت . قف دعنى أستعد شعورى . . آه . . يا إلهى . . رباه . . استمع الآن إلى هذه المقطوعة التى تطفح رقة وعذوبة ، إنها الموسيقى بعينها صه . . صه . . . « أوكرانيا . . لياليها هادئة . . وسماؤها صافية شفافة . . ونجومها ساطعة برّاقة . . لياليها تقهر الوسن . . وتأبى الهواء . . وتكتنى بالنسيم ليداعب أوراق شجر الحور الفضية . . » (يسمع قرقعة عند الباب ويصرخ) من هناك ؟ . .

نيكيتا إيفانيتش . . أظن أن بتروشكا وإيغوركا قد عادا . . مواهب يا فاسيلى فاسيليتش . . . مواهب ! . .

سفتلوفيدوف . . (يتطلع إلى الباب حيث القرقعة ويصرخ) إلىّ يا نَسرْىّ . (ثم يخاطب نيكيتا إيفانيتش) هيّا لنرتد ملابسنا . . ليست هنالك أية شيخوخة ، وكل ما يقال فى هذا الصدد إن هو إلاّ لغو وهذر . . (يضحك مغتبطاً) ما الذى دهاك يا نيكيتوشكا . ما الذى يدعوك إلى البكاء ويحملك على التّنَخع ؟ كلا أيها الشيخ كلا ... هذا أمر غير مستحب ، تشجع . ارفع رأسك (يحتضنه ودموعه تسيل على خديه) لا لزوم للبكاء ، فحيث الفن والمواهب ، لن يكون مجال للشيخوخة ، والعزلة . . والمرض ، بل الموت نفسه يكون بعيداً (يبكى هو أيضاً) إيه نيكيتوشكا . . . لقد غنينا أغنيتنا . . . وما هى المواهب التى بقيت لدينا . . إننى ليمونة قد عصرت ! . .

إنني أسطوانة من جليد مدلاة ! . . إنني مسمار يعلوه الصدأ . .
وأنت . . أنت برذون مسرح عتيق . . هيا بنا . . (يذهبان)

سفتلوفيدوف : أين هي مواهبي الآن ؟ إنني لم أعد أصلح للمسرحيات الجدية ، ولا للدور في حواشي هذه المسرحيات . . أتذكر ذلك المقطع من « عطيل » يا نيكيتوشكا ؟« أسألك الصفح يا راحتي . ويارفاهيتي . . واصفحوا عني أيها الجنود . . . ويا معارك المجد والفخار . . ويا حصاني الجموح . . ويا دوي الطبول . . ويا نداء الأبواق . . وعلم المملكة . . ويا مجالي الشرف والعظمة . . ويا بطولة المقاتلين الأمجاد . . اصفحوا عني جميعاً . . »

نيكيتا إيفانيتش : مواهب . . مواهب . .

سفتلوفيدوف : إليك هذا المقطع أيضاً من مسرحية « ويلٌ من الحكمة » لغريبويدوف : « فلأنطلق من موسكو . . . إنني لن أعود إلى هذا المكان ثانية . . إنني لأركض دون أن أتلفت يمنة أو يسرة . . أركض في هذا الكون باحثاً عن ركن تلجأ إليه الكرامة المهانة . . هات العجلة . . هاتها » .

(يخرج مع نيكيتا إيفانيتش) .

(ويسدل الستار ببطء) .

الدُّب

أشخاص الرواية :

إيليغا إيفانوفتا بوبوفا — أرملة . على وجنتيها بعض النقر .
غريغورى ستبانوفيتش سميرنوف — غنى فى العقد الرابع من عمره .
لوقا — خادم بوبوفا ، شيخ طاعن فى السن .
(فى بيت بوبوفا . وفى غرفة استقبالها . بوبوفا فى لباس الحداد . تمسك بيدها صورة فوتوغرافية ، ولا ترفع النظر عنها ، ولوقا الخادم يقف أمامها) .

١

لوقا : مولاتى . . إنك لتجلبين الأذى لنفسك فقط . . فالخادمة والطاهية خرجتا تتنزهان ، وتجمعان التوت البرىّ من الأحراج . وكل كائن حىّ . . يسر فى هذا الطقس اللطيف . . حتى إن قطتنا تسعى إلى ما يسرها ، فها هى ذى تروح وتغدو فى الفناء تصطاد العصافير . .
وأما أنت . . . فإنك تقبعين طيلة النهار فى الغرفة ، كأنك فى دير . لقد انقضت سنة كاملة ، وأنت حبيسة فى دارك .

بوبوفا : لن أخرج من هذا البيت أبداً . . وما الذى يدعونى إلى الخروج ؟ ! . . انتهت حياتى ! فهو يرقد فى القبر ، وأنا

قبرت نفسى بين هذه الجدران الأربعة . فكلانا ميت ! . .

لوقا : لا . . لا سمح الله . . يا مولاتى . . توفى الله تقولاى ميخايلوفتش . فهذه إرادته . وللمرحوم ملكوت السموات . وأما أنت ، فقد حزنت على زوجك ما فيه الكفاية ، ولا يجوز لك أن تقضى العمر كله فى البكاء والنحيب . وأقول لك بهذه المناسبة : إن عجوزتى أيضاً قد توفاها الله فى يوم من الأيام . . فحزنت عليها ، وبكيتها شهراً . ثم سلوتها . . لأن الحداد عليها طول العمر . . لن يبعثها ثانية إلى الحياة (يتنهد) . . لقد نسيت جيرانك كلهم يا سيدتى ، وأقلعت عن الأسفار والرحلات ، وغدوت لا تقبلين الزائرين . . وأستمحيك العذر إن قلت لك إننا أصبحنا نعيش مثل العناكب ولا نرى للنهار ضوءاً . أما رداء خدمتى : فقد أكلته الفيران ، لعدم استعمالى إياه . . ربما كنتِ على حق فى منهجك هذا لو لم يكن حواليك أناس طيبون ، غير أن المنطقة تعج بالسادة الأفاضل ، ففى قرية ريبلوفه يعسكر طابور وضباطه يقطرون حلاوة . . . . وهناك فى كل أسبوع حفلة راقصة وفى كل يوم تعزف الموسيقى العسكرية . . إيه يا مولاتى . . إنك لصبية جميلة فاتنة . . إنك مزيج من الدم والحليب . . ولا ينقصك شىء سوى الحياة والابتهاج . . فالجمال لا يمنح للمرء إلى الأبد . . . فإذا ما انقضت عشر سنوات ، من عمرك . . . وجدت نفسك تواقة للتبختر فى الطرق . . . تجرين ثوبك الفضفاض ، وتثيرين الغبار فى أعين الضباط . . فأسرعى . . قبل فوات الأوان ! . .

بوبوفا : (بإصرار) أرجوك ألاّ تعود إلى مثل هذا الحديث . . فأنت تدرى تماماً أن الحياة فقدت كل قيمة فى نظرى منذ أن توفى نيقولاى ميخايلوفتش . وإذا ما تراءى لك أننى حيّة ، فما ذلك إلا مظهر خارجى لا غير . . لقد أقسمت بألا أنزع لباس الحداد وألا أشاهد النور حتى أنزل القبر . أسامع أنت ؟ . . فليكن شبحه شاهداً على ما أكنه له من حب . . أجل . . لا أفشى سرّاً إن قلت لك إنه كان يعاملنى معاملة جائرة قاسية . . بل لم يكن أميناً فى حياته الزوجية . . ومع ذلك . . سأظل مخلصة له حتى النفس الأخير . وسأبرهن له ؛ كيف يكون حبى له ؛ وسيرى فى ذلك العالم الآخر أنى ما زلت أمينة له ، كما كنت قبل مماته .

لوقا : أليس من الأفضل لك يا مولاتى أن تخرجى إلى الحديقة لتتنزهى بدلا من إضاعة الوقت فى مثل هذا الحديث؟ . . أتأمرين أن أعد لك الحصان « توبى » أم « الهائل » ؟

بوبوفا : آه . . . . (تبكى) .

لوقا : مولاتى . . أماه « ماتوشكا » . . . ما بك ! . . . ليكن المسيح معك . .

بوبوفا : لقد أحب المرحوم الحصان « توبى » ، وكان دائماً يمتطيه فى زياراته لأسرتى كورتشاغين وفلاسوف ، أتذكر كيف كان يجذب لجامه بشدة ، ويسوسه ببراعة تامة ! أتذكر تلك الطلعة الفروسية الجميلة؟ آه . . مسكين « توبى » إنى آمر السائس بأن يقدم له حصة إضافية من الشوفان . . .

لوقا : تأمرين أمراً . .

(رنين جرس عنيف)

بوبوفا : (وقد أصيبت برعدة) من ذا ؟ قل للزائر : إننى لا أقابل أحداً أبداً . .

لوقا : سمعاً وطاعة (يخرج) .

٢

(بوبوفا وحدها)

بوبوفا : (تنظر إلى رسم فوتوغرافى) ها أنت ذا ترى يانيقولاى كيف أستطيع أن أحب وأسامح ، وثق بأن حبى لن ينطفئ إلا عند ما يقف قلبى عن نبضه. (تضحك من خلال الدموع) ألا تخجل من سلوكك نحوى ؟ . . إننى زوجة أمينة ، أقفلت الباب على نفسى ، وسأظل أمينة لك حتى القبر . . آه منك ألا تخجل من أفعالك ؟ لقد كنت تخونني ، وتسبب لى المشاكل ، وتتركنى فى البيت وحيدة أسابيع بكاملها . .

٣

(بوبوفا ولوقا)

لوقا : (يدخل مرتبكاً) فى الباب رجل يريد مقابلة مولاتى .

بوبوفا : ألم تقل له إننى منذ وفاة زوجى لم أقابل إنساناً ؟

لوقا : قلت له ذلك ؛ إلا أنه أبى الإصغاء إلىّ ، وقال إنه أتاك فى مسألة هامة جداً . . .

بوبوفا : إننى . . لا أقابل زائرين أبداً .

لوقا : أفهمته حقيقة الأمر ، لكنه رجل ملحاح ، شتام ، اقتحم البيت عنوة ، وهو الآن فى قاعة الطعام .

بوبوفا : (مضطربة) لا بأس ، دعه يتفضل . . يا له من جاهل . .
(يخرج لوقا)

بوبوفا : هؤلاء الناس ، صعاب المراس . ما الذى يريدونه منى ! لماذا يعكرون على راحتى وهدوئى ؟ (تتنهد) كلا . . لا بد من الانتقال إلى الدير (تتأمل قليلا) أجل إلى الدير .

٤

(بوبوفا ، لوقا ، سميرنوف)

سميرنوف : (يدخل ويخاطب لوقا) حقاً إنك لشيخ سمج ، ثرثار ، حمار ، (وإذ يرى بوبوفا ينحنى أمامها باحترام) سيدتى لى الشرف بأن أقدم لك نفسى . أنا غريغورى ستيبانوفيتش سميرنوف ضابط فى المدفعية متقاعد ، ومالك أراضى ، اضطررت إلى إزعاجك لسبب هام جداً

بوبوفا (دون أن تقدم له يدها) وما الذى تريده !

سميرنوف : كان لى الشرف بأن أكون من معارف المرحوم زوجك . وتوفى وهو مدين لى بمبلغ ألف ومائتى روبل ، ولما كانت على فوائد مستحقة الدفع غداً للبنك الزراعى أتيتك راجياً أن تتفضلى ، وتدفعى لى اليوم ، المبلغ المطلوب من زوجك .

بوبوفا : ألف ومائتا روبل ؟ ولأى شىء ؟

سميرنوف : هى ثمن الشوفان .

بوبوفا : (تتنهد وتقول للخادم لوقا) لا تنس يا لوقا أن تطلب من السائس أن يقدم حصة إضافية من الشوفان للحصان «توبى».

(يخرج لوقا)

بوبوفا : (تخاطب سميرنوف) إذا كان المرحوم نيقولاى ميخايلوفتش مديناً لك بالمبلغ الذى ذكرته، فمن البديهى أن أقوم بتسديده. لكننى الآن لا أحمل المبلغ المطلوب فأرجوك أن تنتظر إلى بعد غد حتى يعود وكيلى من المدينة وآمره أن يسدد الحساب. أجل، لن أتمكن الآن من تلبية طلبك ولا بأية صورة كانت. يضاف إلى ذلك أن فى هذا اليوم تكتمل السنة على وفاة المرحوم زوجى، وترانى فى حالة نفسية لا أرغب معها البحث فى مسائل مالية.

سميرنوف : وأنا الآن فى حالة نفسية أشعر معها بأننى إن لم أدفع الفوائد غداً للبنك الزراعى فستحجز أملاكى، وستنقلب حياتى رأساً على عقب.

بوبوفا : بعد غد فقط تقبض مالك . . .

سميرنوف : إننى بحاجة ماسة إلى المال اليوم، وليس بعد غد.

بوبوفا : المعذرة. إننى عاجزة عن دفع المبلغ اليوم.

سميرنوف : وإننى عاجز عن الاصطبار حتى بعد غد.

بوبوفا : وماذا أفعل ما دمت عاجزة عن الدفع الآن؟

سميرنوف : إذن أنت عاجزة عن الدفع؟

بوبوفا : أجل عاجزة.

سميرنوف : وهذه هى كلمتك الأخيرة؟

بوبوفا : أجل الأخيرة.

سميرنوف : الأخيرة نهائياً؟

بوبوفا : نهائياً .

سميرنوف : أشكرك جداً . . فلنحرر ذلك (يهز كتفيه) ويريدون منى أن أكون هادئ الأعصاب . سيقابلنى المحصل فى الطريق ويسألنى : ما الداعى إلى غضبك هذا يا غريغورى ستيبانوفيتش ؟ فأجيبه : حلمك . . وكيف لا أغضب ؟ إننى بحاجة قصوى إلى المال . . سعيت فى طلبه منذ أمس الباكر ، وعرّجت على مدينىّ جميعاً ، ولم يدفع لى أحد منهم دينه . . لقد كدت أهلك مثل الكلب . . . قضيت ليلى فى العراء منطوياً على نفسى إلى جانب برميل ماء ... وأخيراً جئت إلى السيدة ميخايلوفتش بعد أن قطعت مسافة سبعين فرسخاً مسافراً على أمل أن أقبض دينى وإذ بها تطعمنى « حالات نفسية » ، أفلا يحق لى أن أغضب ؟

بوبوفا : أظن أننى قلت لك بصريح العبارة : عند ما يعود وكيلى ، تقبض مالك . .

سميرنوف : إننى لم آت إلى الوكيل وإنما أتيت إليك . ولأى عفريت يلزمنى وكيلك ؟ عفواً ! . .

بوبوفا : إننى لم أعتد سماع مثل هذه العبارات النابية ، واللهجة المستغربة ، ولن أصغى إليك أكثر مما أصغيت . . .

(تخرج بسرعة)

(سميرنوف وحده)

سميرنوف : يا للدلال . . حالة نفسية . . إن سنة انقضت على وفاة زوجها . . ولكن أينبغى أن أدفع الفائدة أم لا ؟ هه . . . مات زوجها . . وحالة نفسية . . والوكيل سافر إلى مكان ما . . وغير ذلك من الخزعبلات . . ما العمل ! أأفر من

أصحاب الديون فى منطاد ؟ . . أم أضرب رأسى بالحائط ؟ ذهبت إلى غروزديف فلم أجده فى بيته . . . وذهبت إلى ياروشينيتش فاختبأ ، وذهبت إلى كوريتسين فتشاتمنا وكدت أقذف به من النافذة . . وذهبت إلى مازوتوفا فوجدتها مريضة بالكوليرا . . وجئت إلى هذه وإذا هى فى « حالة نفسية » لا تسمح لها بالدفع . . لم أقبض من هؤلاء الأشقياء شيئاً ، والسبب فى ذلك أننى كنت قد دللتهم أكثر مما يستحقون . . أمربية أنا لهم أم خادمة ؟ أجل . لاطفتهم فى السابق كثيراً . وأما الآن ، فسيعرفوننى . . إننى لن أسمح لأحد بممازحتى أبداً . وسأظل مقيماً هنا إلى أن أقبض حقى . إننى جدُّ حانق اليوم ، ونفسى من الحنق منقبضة . . . رباه . . . إننى تعب اليوم (يصرخ) أيها الخادم ! . .

٥

(سميرنوف ولوقا)

لوقا : (يدخل) ما حاجتك ؟

سميرنوف : ايتنى بقدح من الكفاس * أو الماء . . .

(يخرج لوقا)

سميرنوف : (يخاطب نفسه) وأى منطق هذا ؟ . . رجل بحاجة ماسة إلى المال ، ويهدد نفسه بالشنق إن لم يحصل عليه فيأتى إلى هذه السيدة طالباً دين زوجها ، فتأبى الدفع لأنها غير

---

* شراب روسى يستخرج من الخبز الأسود .

مستعدة اليوم للحديث فى المسائل المالية . . حقاً إنه لمنطق نسوى مُشوّش . . إنه الذى حدا بى إلى عدم حب النساء أو التحدث إليهن ؛ وغدوت أشعر أنه يهون علىّ الجلوس على برميل بارود من أن أجلس إلى جانب امرأة وأتحدث إليها ! . . إننى جد مغتاظ من هذه السيدة. وأحس برعشة تنتاب جسمى من شدة الغيظ . . إننى لا أطيق رؤيتها ولا رؤية مثيلاتها من المخلوقات الشعرية ، ويبدو لى أننى إن رأيت إحداهن ولو عن بُعد فسترتعد فرائصى ، وسأصرخ طالباً من الديدبان النجدة . . .

٦

(سميرنوف ولوقا)

لوقا : (يدخل ويقدم له الماء) السيدة مريضة . وهى غير مستعدة لمقابلة أحد .

سميرنوف : أُخرج ! . .

(لوقا يخرج)

سميرنوف : تقول إنها مريضة ولا تستقبل أحداً ، وماذا يهمنى من أمرها؟؟ إننى باقٍ هنا ولن أخرج حتى تدفع لى مالى . . (يخاطبها بصوت عال) إن بقيت على فراش المرض أسبوعاً فسأبقى إلى جانبك أسبوعاً ، وإن بقيت سنة فسأظل إلى جانبك سنة أيضاً . . . سترين كيف آخذ حقى منك . . . يا أماه « ماتوشكا » . . . ثقى بأن حدادك ، والنقر التى على وجنتيك لن تؤثر فىّ . . إننى أدرى بهذه النقر ا . . (يصرخ من

النافذة مخاطباً سائق عربته) سيمون ! . . ارفع العدة عن الفرس . . إننا لن نرحل عن هذا المكان على وجه السرعة . . إنني باق هنا . . وأما أنت فاذهب وقل للجماعة فى الإصطبل أن يقدموا الشوفان للخيل . . آه منك أيها البهيم ألا ترى أن العنان اشتبك بساق الفرس الأيسر ؟

سيمون : (متهكماً) لا بأس !

سميرنوف : (يرد عليه) سأريك ما المعنى من لا بأس . . .

سميرنوف : (يبتعد عن النافذة) . شىء ردىء . . حر لا يطاق . . كلهم يرفض دفع المال . . . وبالأمس قضيت ليلة على أسوأ حال ممكنة . . . وهذه السيدة تقول لى إنها تجر ثوب الحداد . ونفسيتها مضطربة . . . آه إننى أشعر بوجع فى رأسى . . أأشرب فودكا ؟ . . . أم ماذا ؟ (يصرخ) أيها الخادم . . .

لوقا : ما الذى تريده ؟

سميرنوف : ايتنى بكأس من الفودكا . .

(لوقا يخرج)

سميرنوف : (يجلس ويقلب النظر فى نفسه) لا بأس بى . . هيئة حسنة . لباسى مغبر ، وحذائى موحل ؛ وجسمى قذر ؛ وشعرى غير مرتب ، وخلقى معفرة بالتبن . فيأيتها السيدة ؛ ما الذى حدا بك لأن تستقبلينى كقاطع طريق ؟ . . . (يتثاءب) حقاً . . إنها قلة حياء منى أن أظهر فى غرفة استقبال كهذه وأنا على هذا الشكل . . ولكن لا بأس من ذلك ، فإننى لم آت إلى هذا البيت ضيفاً وإنما دائناً ، ولا يطلب من الدائنين أن يظهروا بهندام حسن .

لوقا : (يدخل ويقدم الفودكا) أتسمحون لنفسكم بالبقاء طويلا

هنا يا سيدى ؟

سميرنوف : (بحنق) ماذا ؟

لوقا : إننى . . إننى . . لا شىء . . لقد أردت . .

سميرنوف : مع من تتكلم . . اُصمت ! . .

لوقا : (على جانب) لقد جلس هذا العفريت على رأسنا . . فياله من حمل ثقيل . .

(لوقا يخرج)

سميرنوف : إننى حانق . . وقد بلغ حنقى درجة أحس معها كأننى سأسحق العالم بأسره . . رباه . . أشعر بوعكة (يصرخ) أيها الخادم !

٧

(بوبوفا وسميرنوف)

بوبوفا : (تدخل ذابلة العينين) سيدى الكريم . . . تعودتُ فى وحدتى الطويلة الابتعاد عن الأصوات البشرية ، كما أننى لا أطيق الصراخ بتاتاً . . فرجائى ألا تقلق راحتى .

سميرنوف : لن أخرج من هذا البيت قبل أن تدفعى لى الدراهم .

بوبوفا : أفهمتك بلغة روسية أننى لا أحمل المبلغ الذى تطلبه الآن فانتظر إلى بعد غد .

سميرنوف : ولى الشرف أن أفهمك بلغة روسية أيضاً أن المبلغ الذى أطلبه يلزمنى اليوم وليس بعد غد . فإذا لم تدفعى لى دراهمى اليوم ؛ فسأجد نفسى غداً مضطرًّا إلى الانتحار .

بوبوفا : حقًّا إنك غريب الأطوار . قلت لك إننى لا أملك المبلغ

الذى تطلبه الآن فما عساى أن أفعل ؟

سميرنوف : فى حالة كهذه أرى نفسى مضطراً للبقاء هنا . . سأظل فى بيتك إلى أن أقبض المبلغ . سأجلس هكذا حتى تدفعى . . (يقفز فجأة) إننى أسألك سؤالا صريحاً : أينبغى أن أدفع الفوائد أم لا ؟ . . أو تظنين أنى أمازحك ؟

بوبوفا : سيدى الكريم ، رجائى إليك ألا تصرخ هنا ؛ فالمكان الذى أنت فيه ليس إصطبلا . .

سميرنوف : إننى لا أسألك عن الإصطبلات ، وإنما أسألك : أ أدفع الفائدة المستحقة علىّ غداً أم لا ؟

بوبوفا : إنك لا تحسن السلوك فى الأوساط النسائية . .

سميرنوف : إنك لعلى خطأ عظيم . . إننى أتقن السلوك بين النساء كل الإتقان .

بوبوفا : كلا إنك تجهل ذلك تماماً ، إنك رجل غير مهذب ، فقط ، فالناس المؤدبون لا يخاطبون النساء على هذا الوجه الذى تخاطبنى به . .

سميرنوف : حقاً إنها لقضية عجيبة . كيف تأمرين أن أخاطبك ؟ أأخاطبك بالفرنسية أم بغيرها من اللغات ؟ (يتحدث إليها بغضب ، ويلثغ فى اللفظ) مدام ، چى ڤوپرى . . . . (Je vous pris) إننى جد سعيد لأنك لا تدفعين لى الدراهم آه . . يباردون لأننى أزعجتك . . الطقس اليوم جميل جداً . ولباس الحداد الذى تلبسينه يليق بك ، وينسجم على قدك (يسير متبختراً) .

بوبوفا : يا للحماقة والخشونة !

سميرنوف : (يغيظها) يا للحماقة والخشونة . . إننى أسىء السلوك فى

أوساط النساء . . يا مولاتى لقد شاهدت فى حياتى نساء أكثر مما شاهدت أنت من طير الزرازير . . تبارزت ثلاث مرات من أجل النساء ، وهجرت اثنتى عشرة امرأة ، وتسع هجرننى . . كانت لى أيام ماجنت فيها ، وغازلت ، وصارحت بحبى . ونمقت الكلمات المعسولة ، وتبخترت فى سيرى . أجل كانت لى أيام أحببت فيها ، وتعذبت ، وذبت . . . وتجمدت ، وتأوهت فى ضوء القمر وبكيت . . تذوقت الحب العنيف فى جميع أشكاله وألوانه ، وكنت أصرخ كما تصرخ العقاعق ! . . كنت عاطفيًّا ، رقيق الحواس إلى أقصى حد ، وأما الآن ، فلن أتأثر بالنساء كفانى ما رأيته منهن ، وثق بأننى لن أدفع الآن درهماً واحداً فى سبيل العيون السود والنظرات المغرية ، والشفاه الحمر ، والنقر على الوجنات ، والأقمار ، والهمسات ، والأنفاس المتقطعة ! . . إننى لاأعنى بذلك حضرتك بالذات ، وإنما عنيت كل النساء . . فصغيراتهن وكبيراتهن مداهنات منافقات نمامات حقودات كاذبات حتى عظام الدماغ ! . . مهمومات حقيرات حائرات عديمات الفهم والمنطق . . يبدون فى الظاهر وكأنهن مخلوقات شعرية جزء من الأثير . . شبه آلهة . . وإذا ما تطلعت إلى نفوسهن لا ترى فيهن إلا تماسيح عادية . . (يتشبث بكرسيه فيطقطق ويتكسر) غير أن المثير فى هذه التماسيح تصورها أن الحس الدقيق هو من مميزاتها الخاصة . . فالمرأة لا تحب أحداً

سوى كلبها الصغير ؛ وهى إن أظهرت للرجل حباً فهى الانتحاب والتنخع فقط . وإذا ما ضحى الرجل فى سبيل حب امرأة وتألم ، وبادلته هذا الحب فإنما بحركات الدلال محاولة القبض على أنفه بشدة ؛ فمن سوء طالعك يا مولاتى أن تكونى امرأة ! . . وإنك ولا ريب اختبرت الطبيعة النسوية فى ذاتك . . بالله ، ألا أخبرتنى صراحة : هل رأيت فى حياتك امرأة أمينة مخلصة ثابتة الوفاء ؟ لم ترى طبعاً . لأن الأمينات الثابتات من العجائز الكسيحات فقط . ويسهل على الإنسان أن يرى هرة بقرنين من أن يرى امرأة أمينة .

بوبوفا : المعذرة يا سيدى . . فمن هو الأمين الثابت فى الحب ؟ أهو الرجل ؟

سميرنوف : أجل ! . . هو الرجل . .

بوبوفا : (تضحك بحقد) الرجل أمين ثابت فى حبه ! . . . يا له من نبأ جديد ! . . (بحدة) كيف تجيز لنفسك القول بأن الرجال أمناء ثابتون ! إن أحسن رجل عرفته فى حياتى هو المرحوم زوجى . . أحببته بكل جوانحى ، حب فتاة صبية مفكرة ، قدمت له صبباى وسعادتى وحياتى وملكى . . كنت أتنفس به . . وأعبده كما يعبد الوثنى صنمه . . ومع ذلك كله كان زوجى — هذا الذى اعتبرته أحسن رجل بين الرجال — يخوننى كلما سنحت له الفرص . . . ولقد عثرت فى درج مكتبه بعد وفاته على صندوق ملىء بالرسائل الغرامية . وكان فى حياته — وبالفظاعة الذكرى — يتركنى وحيدة أسابيع كاملة . ولا يتورع عن التودد إلى النساء أمامى ، فيخوننى ، ويبذر نقودى ، ويستخف بشعورى . . وبالرغم

من مسلكه الشائن هذا . كنت أكن له الحب والإخلاص . والأنكى من ذلك أننى لا أزال ثابتة على حبى له حتى بعد مماته . . لقد حكمت على نفسى أن أدفن بين جدران هذا البيت إلى الأبد ، وأن لا أنزع عنى ثوب الحداد هذا حتى أنزل إلى القبر وراءه . .

سميرنوف : (يضحك بسخرية) حداد ! . . لا أفهم . . . من تظنيننى . كما أننى لا أدرى السبب الذى يحملك على أن ترتدى السواد ، وتقبرى نفسك بين أربعة جدران فى بيت . . حقًّا إن حياتك هذه لشعرية محاطة بهالة من الأسرار الخفية . إنك ولا ريب تودين أن يمر ببيتك أحد تلامذة المدرسة الحربية ، أو شاب شويعر . . فيتطلع إلى نافذتك ويقول : « هنا تقطن تمارا . . . ذات الأسرار . . التى دفنت نفسها بين جدران منزلها فى سبيل حبها لزوجها » أجل . . نحن أدرى بهذه الألاعيب . . أيتها السيدة . .

بوبوفا : (ثائرة) ماذا ؟ . . . أتجرؤ على أن توجه إلىّ مثل هذا الكلام ؟

سميرنوف : لقد دفنت نفسك حيّة ، ولكنك لم تنسى أن تضعى المساحيق على وجهك !

بوبوفا : كيف تتجاسر وتخاطبنى على هذا النحو ؟

سميرنوف : رجائى إليك ألا تصرخى فى وجهى ، واسمحى لى أن أنعت الأشياء بأسمائها . إننى لست وكيلك ، كما أننى لست امرأة . . فمن عادتى أن أعرب عن رأيى فى صراحة . آمل ألا أسمع صراخك ثانية .

بوبوفا : إنك أنت الذى تصرخ فى بيتى . . ألا تتفضل وتتركنى

فى هدوئى !

سميرنوف : ادفعى لى نقودى ومن ثمّ أغادر هذا المكان . .

بوبوفا : لن أدفع لك شيئاً .

سميرنوف : بل تدفعين .

بوبوفا : ونكاية فيك . . ان أدفع لك كوبيكاً واحداً . . . هلا تدعنى وشأنى ؟

سميرنوف : ثقى بأنه لا يسرنى بتاتاً أن أكون خطيبك أو زوجك فأحسنى المخاطبة ولا تتحرشى بى (يجلس) إننى أمقت المشاكل !

بوبوفا : (بغضب شديد) أتجلس أيضاً . .

سميرنوف : أجل .

بوبوفا : تفضل واخرج .

سميرنوف : ادفعى لى مالى (يتنحى جانباً) إننى حانق اليوم . . إننى لحد حانق .

بوبوفا : ألا تفهم ؟ إننى لا أود التحدث إلى الوقحين ! تفضل وانصرف . .

(وقفة)

بوبوفا : ألا تخرج ؟

سميرنوف : كلا . . .

بوبوفا : كلا ؟

سميرنوف : كلا . . .

بوبوفا : لا بأس (ترن الجرس)

٨

(بوبوفا . . سميرنوف . . لوقا)

بوبوفا : لوقا . . أخرج هذا السيد ! . .

لوقا : (يتقدم من سميرنوف) أيها السيد . . لقد صدر الأمر بخروجك حالا من البيت . فليس لديك ما تفعله هنا .

سميرنوف : (يقفز) اصمت . . وإلا صنعت منك « سلطة » !

لوقا : (يرتعد رعباً) رباه . . يا أصحاب الكرامات . . (يقبع على الكرسى) يكاد يغمى علىّ . . شىء منكر . . .

بوبوفا : أين داشا ؟ . . داشا ! . . (تصرخ) داشا ! . . بيلاغيا! داشا ! . . (ترن الجرس) .

لوقا : ذهب كل من فى البيت إلى الحرج ليجمعوا التوت البرى . . آه يكاد يغمى علىّ : ايتونى بالماء . . .

بوبوفا : تفضل وانصرف .

سميرنوف : ألا يحسن بك أن تخاطبنى بلطف ؟

بوبوفا : (تجمع قبضتيها وتضرب الأرض بقدميها) أنت فلاح . . دب فظ . . وحش هائل . .

سميرنوف : ماذا ؟ . . ماذا تقولين ؟

بوبوفا : قلت إنك دب . . ووحش مخيف . .

سميرنوف : (يتقدم نحوها) بأى حق تهينيننى ؟

بوبوفا : أجل أهينك . . أو تظن أننى أخشاك ؟

سميرنوف : أو تظنين أن كونك مخلوقة شعرية يخولك الحق بأن تهينينى دون أن يلحقك عقاب . إننى أدعوك إلى المبارزة .

لوقا : رباه . . يا أصحاب الكرامات . .

سميرنوف : إلى المبارزة بالمسدسات ! .

بوبوفا : إننى لا أخشاك، برغم اعتقادك بأن لك حلق ثور ، وقبضتين قويتين ، هه . . حقاً إنك لدب فظ !

سميرنوف : إلى المبارزة . . إننى لا أسمح لأحد أن يحقرنى ، ولا يهمنى كونك مخلوقة ضعيفة .

بوبوفا : (تحاول الصراخ) دب . . دب . . دب . .

سميرنوف : لقد آن الأوان لكى نضع حداً لذلك الوهم الشائع القائل بأن الرجال وحدهم هم المجبرون على دفع ثمن الإهانات فما دامت المرأة تطالب بالمساواة فلتكن . . يا للشيطان . . هيا إلى المبارزة .

بوبوفا : أتريد المبارزة بإطلاق النار ؟

سميرنوف : أجل . . وفى هذه اللحظة .

بوبوفا : انتظرنى دقيقة واحدة . سأذهب وآتى بالمسدسات التى خلفها المرحوم زوجى . (تروح وتغدو على عجل) أية مسرة أجدها فى إفراغ رصاصة فى رأسك الدُبى . . فيختطفك إبليس (تخرج) .

سميرنوف : سأطلق النار عليها كما أطلقها على عصفور . إننى لست طفلا ، ولا خنّوصاً ولا أعترف بوجود مخلوقات ضعيفة .

لوقا : أبتاه . . وارحمتاه . . (يجثم على ركبتيه) كن طيباً . . وأشفق على هذا الشيخ . . تفضل واخرج من هذا البيت . لقد كدت أهلك من الرعب ، وتريد المبارزة أيضاً ؟

سميرنوف : (لا يصغى إلى توسلاته) المبارزة بالمسدسات هى المساواة فى الحقوق . وهذا هو أس الدعوة إلى تحرير المرأة ، فالجنسان

فى هذه الحالة يكونان متساويين . سأطلق النار عليها مبدئياً ! . . (متهكماً) . . «فليختطفك إبليس . . وسأفرغ رصاصة فى رأسك الدُّبى» . . أية امرأة هذه ؟ لقد تحمست واتقدت عيناها حنقاً . وقبلت الدعوة بلا تردد . . الواقع أننى لأول مرة فى حياتى أشاهد امرأة فى مثل هذه الصلابة والعناد .

لوقا : أبتاه . . تفضل واخرج . . وسأصلى لك طيلة حياتى ! . .

سميرنوف : ما هذه المرأة ؟ حقاً إنها لامرأة بكل معنى الكلمة ، فهى ليست من النوع المائع المتصنع ، وإنما هى شعلة بارود ، شهاب ، وقتلها خسارة ! . .

لوقا : (يبكى) أبتاه . . رجائى إليك أن تخرج . .

سميرنوف : إننى معجب بها . . . أجل . . . إنها لتعجبنى بالرغم من النقر المنثورة على وجنتيها . . . وأجد نفسى على تمام الاستعداد لأن أسامحها فى الدين وأغفر لها إهاناتها ، حقاً إنها امرة عجيبة .

٩

(سميرنوف ، لوقا ، بوبوفا)

بوبوفا : (تدخل وهى تحمل المسدسات) إليك المسدسات ! تفضل أرنى كيف تستعمل قبل أن نشرع فى المبارزة . . إننى لم أقبض على مسدس طيلة حياتى .

لوقا : أنقذنا يا رب وارحمنا . علىّ أن أهرع فى طلب النجدة

من البستانى والسائس وغيرهما . . رباه . . من أين جاءنا هذا البلاء ؟ (يخرج)

سميرنوف : (يقلب المسدسات) انظرى . . هناك عدة أنواع للمسدسات منها ما هو خاص بالمبارزة ، ويعرف باسم مورتيميرا ، أما هذه التى فى حوزتك فهى من طراز سميث وفيسون ، وتستعمل عادة للضرب المُركّز . حقًا إنها لمسدسات جيدة ، يباع الواحد منها اليوم بتسعين روبلا . . أما طريقة استعمالها فتقبضين على المسدس هكذا (يلتفت جانباً) رباه ما هذه النظرات . . امرأة شعلة ! . .

بوبوفا : أأقبض على المسدس على هذا الشكل ؟

سميرنوف : أجل هكذا . . تصوبين الفوهة نحو الهدف . . وتجعلين رأسك يميل إلى الخلف قليلا ، أجل هكذا . . . ثم تضغطين على هذا الزناد وينتهى الأمر . والأهم من ذلك كله ألا تحتدمى ، وأطلقى النار بأعصاب هادئة ، واحذرى أن تضطرب يدك .

بوبوفا : شكراً . . لكننى لا أستحسن المبارزة فى الغرفة ، فلنخرج إلى الحديقة . .

سميرنوف : هيا . . لكننى أحيطك علماً بأننى سأطلق النار فى الهواء !

بوبوفا : وما معنى ذلك ؟

سميرنوف : وأنت ما يعينك مما أفعل ؟ هكذا أريد ! . .

بوبوفا : أجبنت أيها الرعديد ؟ . . هه . . آ . . آ . . آ . . . كلا لن يكون لك ما تريد . تفضل واتبعنى . وأقسم لك بكل عزيز بأنه لن يهدأ لى بال حتى أضرب بالرصاص جبهتك البغيضة هذه . . أجبنت أيها الرعديد ؟ قل لماذا

عدلت عن المبارزة ؟

سميرنوف : لأننى أعجبت بك !

بوبوفا : (تضحك بغيظ) لقد أعجبتك ! . . إنه يجرؤ ويقول إننى أعجبته (تشير إلى الباب) أخرج ! . .

سميرنوف : (يضع المسدس على المائدة دون أن يتفوه بكلمة. ثم يأخذ قبعته . ويسير نحو الباب ويقف ، فيتبادلان النظر لحظة ثم يخاطبها) : ألا تزالين ساخطة علىّ ؟ إننى أيضاً مهتاج حانق ولكن هل لك أن تفهمينى ؟ فالمسألة هى كما ترين وبكلمة موجزة ، هى (يصرخ) وما ذنبى إذا ما أعجبت بك ؟ . . إننى معجب بك أتفهمين ؟ إننى على وشك الوقوع فى هواك .

بوبوفا : اغرب عن وجهى ، وإلا أطلقت عليك النار .

سميرنوف : أطلقى النار علىّ ، فإنك لا تدركين السعادة التى أجدها فى الموت مشيعاً بهاتين العينين البرّاقتين العجيبتين . وأن أُقتل بمسدس تقبض عليه هذه اليد المخملية . . . لقد جُننت . . . ففكرى فى الأمر . . وأصدرى حكمك. إننى رجل شريف مؤدب ، وأملك دخلا سنوياً يقدر بعشرة آلاف روبل . . وإننى صياد ماهر أُصيب قطعة النقود فى الهواء بطلقة واحدة . . عندى خيول ممتازة . . أفلا تريدين أن تكونى زوجة لى ؟

بوبوفا : (حانقة تهز المسدس) هيا إلى المبارزة . . . أسرع ! . .

سميرنوف : لا أفقه شيئاً . . جُننت . . أيها الخادم ايتنى بقدح من الماء.

بوبوفا : (تصرخ) هيّا إلى المبارزة . .

سميرنوف : جُننت . . أحببت . . مثل الولد الصغير . . بل مثل

الأحمق . . (يمسكها من يدها وهى تصرخ من شدة الألم) أحبك . . (يجثو على ركبتيه) أحبك أكثر من جميع اللائى أحببتهن فى حياتى . . هجرت اثنتى عشرة امرأة ، وتسع هجرنى . لكننى لم أحب أية واحدة منهن بقدر حبى لك . . ها أنا ذا جاثم أمامك مثل الأحمق . . أطلب يدك ؛ فوا خجلاه ! .. خمس سنوات انقضت لم أذق خلالها طعم الحب . فقد آليت على نفسى ألا أحب . . وإذا بسهم الحب يصيبنى فى قلبى على حين غرة . . . إننى أطلب يدك ؛ أفلا تجيبيننى بنعم أو بلا؟ أتأبين الإجابة ؟ لا بأس . . . (يقف ويتجه بسرعة نحو الباب) .

بوبوفا : قف !

سميرنوف : (يقف) نعم ! . . .

بوبوفا : لا شىء . . . اذهب . ولكن قف ! . . . كلا . . . اخرج اخرج ! . . . إننى أمقتك . ولكن كلا لا تخرج ! . . إننى حانقة . . . إننى ساخطة . . . (تلقى المسدس على الطاولة) . . . لقد ورمت أصابعى من هذه الآلة الكريهة ... (تمزق منديلها من الحنق) ألا تزال واقفاً ؟ انصرف ! ...

سميرنوف : الوداع ؟ . . .

بوبوفا : أجل اخرج (تصرخ) إلى أين أنت ذاهب ؟ قف؟ ... اذهب ؟ . . . رباه إننى حانقة ساخطة . . . لا تقترب منى لا تقترب . . .

سميرنوف : (يقترب منها) يا لعجبى من نفسى لقد أحببتك كما يحب تلميذ المدرسة الإعدادية . . جثمت أمامك على ركبتى وشعرت بموجة من الصقيع تمزق جسدى . . (بخشونة)

أحبك ! . . إننى كنت فى غنى عن هذا الحب ولم يخطر لى ببال قط . . وكيف أفكر فى الحب ، وعلىّ غداً أن أدفع الفوائد للبنك الزراعى . . وموسم الحصاد على الأبواب ، وإذا بك تعترضين سبيلى ، (يطوقها من خصرها) إننى لن أغتفر لك ذلك أبداً .

بوبوفا : ابتعد عنى . . ارفع يدك عن خصرى . . . إننى أمقتك . . هيا إلى المبارزة ! . .

(تقبيل متواصل)

١٠

(يدخل لوقا عليهما وهو يحمل فأساً . . . وبصحبته البستانى يحمل مسحلة . . والسائس يحمل شوكة حصاد ، وعددٌ من العمال يحملون قطعاً من الخشب)

لوقا : (يراهما متعانقين) رباه . . يا أصحاب الكرامات !

(وقفة)

بوبوفا : (منخفضة العين) لوقا . . قل لسائس الإسطبل أن لا يقدم اليوم شيئاً من الشوفان للحصان « توبى » ! . .

(يسدل الستار)

مفجوع رغم أنفه

من حياة الاصطياف فى الريف

أشخاص الرواية

إيفان إيفانوفيتش تولكاتشوف — رب عائلة .
ألكسى ألكسيفتش موراشكين — صديقه .
تجرى حوادث الرواية فى بطرسبورغ فى بيت موراشكين .
(مكتب موراشكين حسن الفرش ، يجلس موراشكين وراء مكتبه ، فيدخل عليه تولكاتشوف وهو يحمل بين يديه زجاجة مصباح ، ودراجة أطفال ، وثلاث علب تحتوى على قبعات ، ورزمة كبيرة تتضمن ثوباً نسائياً ، وكيساً فيه زجاجات خمر ، ورزمة صغيرة أخرى ، يتطلع بعينين تائهتين ، ويرتمى على المقعد متهالكاً) .

موراشكين : مرحى إيفان إيفانوفيتش . . . إننى جد مغتبط برؤياك . . من أين أنت آت !

تولكاتشوف : (يتنفس بصعوبة) آه يا عزيزى لى رجاء لديك أتوسل إليك ، أقرضنى مسدسك حتى الغد ! . . كن صديقاً صدوقاً وأقرضنى إياه . .

موراشكين : وما حاجتك بالمسدس ؟

تولكاتشوف : إننى فى مسيس الحاجة إليه . . أبتاه . . أسعفنى بقليل من الماء ، أسرع بالماء ، أجل لا بد لى من الحصول على المسدس ، لأننى سأسافر هذه الليلة إلى المصيف ،

وأخترق الأحراج المخيفة بمفردى ؛ وأرى أن أحمل مسدساً حذر الطوارئ . . أقرضنى إياه . . أتوسل إليك . .

موراشكين : كفاك هذراً يا إيڤان إيڤانوفيتش . ما هذا الجور ؟ أنت رب عائلة ، ومستشار دولة ، فاخجل من نفسك . .

تولكاتشوف : وأى رب عائلة أنا ؟ إننى شهيد . . بل بهيمة حقيرة إننى زنجى ، عبد منحط ، لا أزال أُمنى النفس فى هذه الحياة ، ولا أفعل شيئاً لينقلنى إلى دار البقاء . . . إننى خرقة بالية ، سخيف أحمق ، فما معنى عيشى هذا ؟ ألا تقل لى لم أنا عائش ؟ وما الذى يدعونى إلى تحمل كل هذه الآلام المعنوية والجسدية . إنه ليرضينى أن أكون شهيد فكرة ما ، ولكننى لن أقبل — بأية صورة من الصور — أن أكون شهيد أثواب نسائية ، وزجاج مصابيح ! . . كلا لن أكون ذلك . كفانى . .

موراشكين : لا تصرخ يسمعك الجيران . .

تولكاتشوف : دعهم يسمعون . . فالأمر عندى على حد سواء . . . فإذا لم تقرضنى المسدس فغيرك يقرضنى إياه . . لقد تقرر الأمر ، ولن أبقى فى عداد الأحياء بعد اليوم .

موراشكين : قفْ ، لقد قطعت عروقى ، تكلم بهدوءٍ ، إننى ما زلت أجهل الأمر الذى يؤلمك فى حياتك .

تولكاتشوف : أتسألنى الأمر الذى يؤلمنى فى حياتى ؟ تفضل واسمع قصتى ، سأعترف لك بحقيقة الأمر ، ولعل فى اعترافى هذا ما يخفف الحمل عن نفسى : فلنجلس . . أصغ ، آه . . أماه ، دعنى أتنفس قليلا . . . خذ على سبيل المثل ما حدث لى هذا اليوم : شرعت فى عملى المضنى فى الديوان من الساعة

العاشرة صباحاً حتى الرابعة بعدالظهر ؛ وكان الجو حاراً خانقاً ، والذباب يشنها حرباً لا هوادة فيها . وكان الوضع غير طبيعى فى الدائرة ؛ فالسكرتير فى إجازته ، وخرابوف راح يتروح ، وصغار الموظفين لا يفكرون إلا فى الاصطياف الريفى ، وفى الحب ، والحفلات المسرحية ؛ والأنكى من ذلك كله أن السكرتير بالنيابة مصاب بطرش فى أذنه اليسرى ، وعاشق .. وهكذا ترى كل شىء هاجعاً مشلولا فى الدائرة ، فى حين أن طلاب الحاجات يهرعون فى خبل من مكان إلى آخر دون طائل ، يسرعون ويتسابقون ، يهددون ويحتجون ، فيحدثون بلبلة وتشويشاً عظيمين . . وكلهم بين مستفهم وصاحب مصلحة . وما أكاد أفرغ من هذا العمل الممل الذى يجرى على وتيرة واحدة ، ومثله مثل الإسفنجة تمتص الماء وتلفظه . . أجل ما أكاد أغادر الدائرة حتى تستولى على رغبة ملحة فى أن أتناول الغداء ، وأستلقى على الفراش ، أطلب النوم الهنىء . ولكن أنّى لى ذلك؟ أتذكر ساعتئذ أننى رب عائلة مصطافة وما أنا إلا خلعها ، بل عبدها وممسحها .. أجل أيها العزيز موراشكين لقد انتشرت فى مصيفنا عادة جديدة لطيفة ، ومفادها أن المصطافات يشعرن بأن لهن من السلطة ما يخولهن الحق بأن يطلبن من الرجل المصطاف الذاهب إلى المدينة أن يجلب لهن معه كل ما هن فى حاجة إليه من ملبس ومأكل ولوازم بيتية أخرى ، وفى صبيحة هذا اليوم طلبت منى زوجتى أن أعرّج على الخياطة وأن أوبخها على إخراجها كمى الثوب عريضين ؛ وجعلها كتفه ضيقاً ؛ وسألتنى أن أستبدل بحذاء ابنتنا سونتشكه غيره ،

وأن أشترى لكنتى شريطاً من الحرير ، وثلاث أذرع من القماش .. حاملك أيها الصديق الصدوق ، سأقرأ لك القائمة مفصلا (يخرج من جيبه ورقة ويقرأ فيها) : « زجاجة مصباح ، أوقية طحال ، مسامير وبراغى بخمسة كوبيكات ، زيت خروع لميشا ، عشر أواق سكر ناعم ، وبودرة بعشرة كوبيكات ، وعشرون زجاجة بيرة ، ثم علىّ أن أعرج على البيت وأن أجلب منه الطاس المعدنى ، وعلبة السكر وزجاجة حامض الكربونيك ، وعلبة المسحوق الفارسى لمكافحة البق ، وزجاجة روح الخل ، وبالطو ميشا الخريفى ، وكورسيه المدموازيل شانسو » . هذه طلبات الزوجة والعائلة ؛ أما طلبات المعارف والجيران — ليت إبليس يختطفهم — فهى أن أشترى دراجة لأسرة فلاسين بمناسبة عيد ميلاد تولوديا ، وأن أدعو القابلة لتزور زوجة الرئيس العسكرى فيخرين ، وأن أسلم خمس رسائل لبعض الأسر فى المدينة . .

وعلى ذلك يا أبتاه ، ترانى فى الفترة التى تتخلل انتهاء عملى فى المكتب ، وقيام القطر أركض من مكان لآخر وأنا ألعن الحياة . . فمن الحانوت إلى الصيدلية ، ومن الصيدلية إلى الخياطة ، ومن هذه إلى اللحام ، ومن هذا أعود ثانية إلى الصيدلية . . ويحدث أحياناً أن تعثر قدمى فى مكان ، وأفقد نقودى فى مكان آخر ، وأنسى أن أدفع ثمن البضاعة فى مكان ثالث ، فيعدو ورائى صاحب البضاعة مثيراً ضجة فاضحة ، وأدوس على رداء سيدة فى مكان رابع . . أف . . إن هذه التمرينات المتوالية تجمد الدم فى عروق الإنسان ، وتشل أعصابه وتجعله يحس طيلة ليله أن هناك من يكسر

عظامه . وأن تماسيح تراوده فى أحلامه .

حسناً . لقد نفذت الطلبات والتوصيات ، وابتعت كل شىء فكيف لى بعدئذ أن أؤلف بين هذه الموسيقى المختلفة الألحان؟ كيف أضع مثلا العلبة المعدنية الثقيلة مع زجاجة المصباح ؟ أو حامض الكربونيك مع الشاى ؟ أو زجاجات البيرة مع الدراجة ؟ إنها أشغال شاقة فرعونية . . ومن الواجب إنعام الفكر فيها ؛ إنها معضلة شديدة التعقيد . فكيفما حاولتُ تدبر الأمر ، والاحتيال عليه ، فلا مفر من أن يتهشم شىء مما أحمله ، أو ينساب من بين يدى إلى الأرض . . ثم أدخل عربة القطار فأرى فيه ازدحاماً عظيماً فأضطر إلى الوقوف مسنداً بعض الرزم إلى ذقنى ، ويتحرك القطار فيتماوج المسافرون ويميل بعضهم على بعض ، وتتطاير حوائجى هنا وهناك . . ويرتفع صراخ المسافرين من كل الجهات قائلين : لقد شغلت بحوائجك أماكن غيرك . . ارفعها وإلا استدعينا المفتش وسألناه أن ينزلك من القطار فى أقرب محطة . . . فأداريهم ، وأصبر على مضض ، وأتسمر فى مكانى مثل الحمار العنيد ! . . واسمع الآن يا صديقى الصدوق تتمة قصتى : وأخيراً أصل إلى المصيف وأحس بحاجة شديدة إلى الأكل ورغبة فى شرب كأس من النبيذ . . غير أن سوء الطالع يلازمنى فى المصيف أيضاً ، فلا أكاد أبلغ البيت وأفرغ الحمل ، وألعق القليل من الحساء ، حتى تدخل علىّ زوجتى وتقول لى : هيا إلى المسرح ، أو إلى حلقة الرقص ! وهل بوسعى أن أحتج ؟ فإننى زوج . . وكلمة « زوج » تعنى بلغة أهل الاصطياف « بهيمة » معدة للركوب وحمل

الأثقال . لا تجد من يشفق عليها حتى ولا جمعية الرفق بالحيوان ! . .

فأسير مع زوجتى رهين أمرها . فنشاهد رواية « فضيحة فى أسرة فاضلة » ، أو رواية « مرتيو » . فأصفق بإشارة منها ، ثم أعطس وأتثاءب . . هذا إذا ذهبنا إلى المسرح . أما إذا ذهبنا إلى حلقة الرقص فعلىّ هناك أن أبحث عن فرسان يراقصون زوجتى ! وإذ نعود إلى البيت من المسرح أو حلقة الرقص بعد منتصف الليل : أشعر فى قرارة نفسى بأننى جيفة لا تصلح إلا لتلقى إلى السباع والطيور الجارحة . وعند ما أبلغ ما أصبو إليه وهو الفراش أستلقى عليه : فتغمرنى الغبطة وأغمض عينى وأنام ، ويتراءى لى أن كل شىء يحيط بى عذب لطيف شعرى . فلا صوت أطفال يقلق راحتى ولا زوجة تزعجنى . كل شىء هادئ دافئ . . وعلى حين غرة أسمع (د زز . . زز . .) يا لله ! البعوض « يشب » . أجل : البعوض الشقى الكافر اللعين « يهدد بقبضتيه » ، البعوض هو الإعدام الفرعونى! . . هو محاكم التفتيش الإسبانية ! د زززز . البعوض يدندن بصوت شاك محزن ، كما لو أنه يقدم لك استرحاماً ، وفجأة إذ بهذا اللئيم يلسعك فتقضى الساعات الطوال وأنت تحك جسمك .

ثم تنفث الدخان عليه ، وتهشه ، وتخفى رأسك تحت اللحاف دون جدوى ، وفى النهاية تبصق وتستسلم للعذاب وتقول : « تغذوا أيها المناكيد ! . . » ولا تكاد تعتاد لسع البعوض حتى يتناولك نوع آخر من المنغصات ألا وهو مدوس الغناء . هناك طبقة من المغنين ينامون نهاراً ويسرحون ليلا ، فيجوبون

بيوت محبي الغناء ويحيون فيها الحفلات أو يلتمنون الدروس . . وزوجتي مغرمة بالغناء ؛ ويأتيها أستاذها بين ليلة وأخرى ، فيرفع صوته ، وتتبعه هي فيخطئها ؛ فتعيد الصراخ ؛ إنه لعذاب أشد من لسع البعوض . . ويل لذاك المغني حين ينشد : « لا تقولي إن عهد الصبا قد اندثر فهأنذا أقف أمامك ثانية مأخوذاً » يا له من مغن وغد . . . ويالها من تلميذة أنانية . . يواصلان الغناء فينتزعان مني الروح ؛ ولا أجد وسيلة لتهدئة نفسي إلا أن أتسلى بالنقر على صدغي إلى أن يكف المغني عن الغناء في تمام الساعة الرابعة صباحاً ، آه . . إلى بالماء يا صديقي الصدوق . . وبعد ذلك أنام ساعتين فقط فأنهض في الساعة السادسة صباحاً ، وأسرع إلى المحطة مجتازاً الطريق الموحلة ، والضباب يكتنفني من كل جانب ، والصقيع يسري في جسمي ؛ وأركب القطار وأبلغ المدينة ، ثم تبتدئ الأغنية من أولها ! . . إنها لحياة منحطة ساقطة ؛ لا أريدها لألد أعدائي ، إنني مريض ؛ قصير النفس ، مصاب بحرقة في صدري ، ومعدتي لا تهضم الأكل ، وعلى عيني غشاوة ، وأحس دائماً بأنني أخشى شيئاً أجهله ! . . ثق بأنني جننت . (يتطلع هنا وهناك) أرجو أن يظل هذا الخبر سراً فيما بيننا وسأذهب الآن إلى الطبيب تشتشيتو أو مرجيفسكي ليفحصني . آه ياصديقي ! لا يسعك أن تتصور حالتي في أوقات ضيق الصدر وتوتر الأعصاب ، فإذا ما لسعني البعوض أو غنى المغني في بيتي بعد منتصف الليل ؛ تظلم الدنيا في ناظري ، وأثب فجأة ؛ وأركض في جميع أرجاء البيت كمن اشتعلت في ثيابه النيران ، وأصرخ قائلا : « أتعطش للدماء . . للدماء . . »

وتمتلكنى فى هذه الآونة الرغبة فى أن أطعن أحداً بخنجر ، أو أن أهوى بكرسى على رأس أحدهم . . هذا هو ما أوصلتنى إليه حياة الاصطياف . . ألا يوجد بين الناس من يمنحنى شفقته أو عطفه لا ضحكه وسخريته ؟

إننى مخلوق حى ؛ أود العيش مثل باقى الناس . وقصتى هذه ليست أنشودة هزلية وإنما هى فجيعة محكمة الحلقات . أصغ إلى الآن : إن أبيت أن تعطينى مسدسك فامنحنى عطفك على الأقل !

موراشكين : إننى عليك لعاطف !

تولكاتشوف : هه . . . لقد بينت لى عطفك هذا . . الوداع ، إننى ذاهب فى طلب السمك ، والبقانق ، وبودرة الأسنان ، وغير ذلك الشىء الكثير . . ثم . . إلى المحطة . .

موراشكين : أين يقع منزلك فى مصيفك ؟

تولكاتشوف : بالقرب من بير الرمة . .

موراشكين : (مغتبطاً) أحقاً تقول ؟ ألا تعرف هناك أين تسكن المصطافة السيدة أولغا باڤلوفنا فينبرغ ؟

تولكاتشوف : كيف لا أعرف ؟ إنها جارتنا ومن معارفنا .

موراشكين : أحقاً ما تقول ؟ يا لها من مصادفة حسنة . .

تولكاتشوف : عسى أن يكون الأمر خيراً . .

موراشكين : أى عزيزى وحبيبى . . ألا تود أن تقدم لصديقك خدمة صغيرة ، كن عند حسن ظنى بك . . وأعطنى كلمة شرف أنك ستنفذ لى رجائى .

تولكاتشوف : خيراً ! ماذا هناك ؟

موراشكين : أتوسل إليك أيها الصديق الصدوق أن تبلغ السيدة أولغا

بافلوفنا تحياتى ، وأن تخبرها أننى حىّ معافّى ، وأن تقبل يدها نيابة عنى ؛ ثم أرجوك أن تأخذ لها هذا الشىء الصغير بيدك . . لقد سألتنى أن أشترى لها ماكينة خياطة تدار باليد ، فاشتريتها غير أننى محتار فى كيفية إرسالها لها ، خذها معك يا عزيزى . . . أرجوك ، ثم أتوسل إليك بهذه المناسبة أن تحمل لها أيضاً هدية منى ، وهى عبارة عن قفص فيه شحرور ؛ واحذر أن ينكسر باب القفص ويفلت الطير ، مالك تحدق فىّ هكذا ؟

تولكاتشوف : ماكينة خياطة تدار باليد ؟ وقفص فيه شحرور ؟

موراشكين : إيڤان إيفانتش ماذا دهاك ؟ وما الداعى لقمان وجهك ؟

تولكاتشوف : (يخبط الأرض بقدميه) ايتنى بالماكينة ! . . . أين القفص ! ؟ واجلس أنت عليهما أيضاً . . افترسنى ، قطعنى (يهدد بقبضتيه) أتعطش للدماء . . للدماء . .للدماء ! . .

موراشكين : أجننت ؟

تولكاتشوف : (يهجم عليه) أتعطش للدماء . . للدماء ! . . .

موراشكين : (فى هلع) لقد جنّ (يصرخ) بتروشكا . . ماريا . . . أين أنتما ؟ النجدة يا ناس . . أنقذونى ؟ . .

تولكاتشوف : (يعدو فى أثر موراشكين فى الغرفة) أتعطش للدماء . . للدماء ؟ . .

(يسدل الستار)

ضرر التبغ

الممثل الوحيد — إيفان إيفانوفيتش نيوخين ، زوج امرأة تدير مدرسة للموسيقى وتشرف على بانسيون للفتيات .

نيوخين (وقد أرخى شعر خديه : وحلق شاربيه وذقنه ، وارتدى فراكاً قديماً ، يدخل المسرح بخيلاء : فينحنى أمام الجمهور ويعدل صديريته ويقول) : سيداتى الفاضلات . . ولدرجة ما سادتى الأفاضل ؛ (يمشط شعر خده) لقد طاب من زوجتى أن ألقى فى هذا الحفل محاضرة توجيهية ، فلم يسعنى إلا أن أابى الطاب ! . . وإليكم المحاضرة ما دام لا بد منها ؛ فالأمر عندى على حدٍّ سواء . . إننى لست فى الواقع أستاذاً بل بعيد كل البعد عن مستوى العلماء ، ومهما يكن من أمر فلقد انقضت ثلاثون سنة من حياتى لم أنقطع خلالها عن العمل فى معالجة مسائل لها من الخصائص العلمية ما لها . . فكنت أنطوى على نفسى أفكر ، وأكتب أحياناً المقالات العلمية ، إنها ليست علمية دقيقة ، وإنما هى شبيهة بالعلمية . .

والشىء بالشىء يذكر ، فلقد وضعت فى الأيام الأخيرة مقالة كبيرة عنوانها : « حول ضرر بعض الحشرات » وقد أثارت هذه المحاضرة إعجاب بناتى ، وخاصة ذلك الموضع منها الذى تناولت فيه البق وطرق مكافحته . وبعد أن ألقيت تلك المحاضرة مزقتها ولكن ثقوا أننى مهما كتبت فى مكافحة البق فلا بد من استعمال المسحوق الفارسى ، ولا أخفى عليكم أن البق تسرب إلى بيانو بيتنا . . أما موضوع محاضرتى لهذا اليوم فهو الأضرار التى تلحق بالإنسانية من جراء استعمال التبغ .

إننى من المدخنين . إلا أن زوجتى أرادت أن ألقى عليكم اليوم محاضرة عن ضرر التبغ . إذن لا مفر من ذلك . .

فهاكم حديث التبغ ما دام ذلك الحديث هو المطلوب ؛ فالأمر عندى على حدٍّ سواء وإننى لأقترح عليكم ؛ أيها السادة الأفاضل ، أن تعيروا محاضرتى هذه ؛ كيفما كانت ؛ ما تستحقه من اهتمام . وألفت نظركم إلى أنه إذا كان بينكم من تخيفه المحاضرات العلمية الجافة ، أو لا تعجبه بتاتاً فباستطاعته ألا يستمع إليها وينصرف (يعدل صديرته) .

وأرجو من حضرات الأطباء الحاضرين ؛ بصورة خاصة ؛ أن ينتبهوا إلى محاضرتى هذه ، إذ بوسع الكثير منهم أن يستمد منها الشىء الوافر من المعلومات المفيدة . . فالتبغ — عدا فعاليته المضرة — يستعمل أيضاً فى الطب . وأضرب لكم مثلا على ذلك : إذا أخذنا ذبابة ووضعناها فى علبة الدخان ، فما من ريب فى أن مصيرها الموت المتسبب عن تمزيق جهازها العصبى ! . .

فالتبغ هو أولا نبات . . من عادتى سيداتى وسادتى أن أغمز بعينى اليمنى وأنا أحاضر ، فرجائى إليكم ألا تكترثوا لذلك . . إذ أننى على الجملة عصبى المزاج ، وقد أخذت عينى بالغمز منذ الثالث عشر من أيلول سنة ١٨٨٩ ، أى فى ذلك اليوم الذى وضعت فيه زوجتى ابنتنا الرابعة فارفارا . وبناتى كلهن ولدن فى الثالث عشر من أشهر السنة . . عفواً (ينظر إلى الساعة) آمل ألا أكون قد انحرفت عن الموضوع . . فالوقت ضيق . . لكن علىَّ أن أقول لكم إن زوجتى تدير مدرسة للموسيقى ، وتشرف على بنسيون خاص ، فهو ليس بنسيوناً على الوجه الأكمل وإنما هو شبيه بذلك .

ولا أذيع عليكم سرًّا إن قلت لكم إن زوجتى تشكو دائماً من النقص فى المال ، مع أنها تملك ما يفيض عن حاجتها ، تملك أربعين أو خمسين

ألفاً من الروبلات ، فى حين أننى لا أملك كوبيكاً واحداً . . آه . . ما عساى أن أقول لكم ؟ . إننى أعمل فى البانسيون بمثابة مدير للإدارة ؛ فأشترى المواد الغذائية ؛ وأحاسب الخدم ، وأقيد النفقات ، وأخيط الدفاتر ؛ وأكافح البق ؛ وأنزه كلب زوجتى ؛ وأتصيد الفئران . . وقد طلبت منى زوجتى فى الليلة البارحة أن أقدم للطاهية الدقيق والزيت لتصنع الفطائر للتلميذات ؛ ولما أعدت الطاهية الفطائر ، هرعت زوجتى إلى المطبخ لتعلن أن ثلاث تلميذات لا يردن أكل الفطائر لأن غددهن متورمة . . وهكذا اتضح لنا أننا أعددنا كمية من الفطائر أكثر من المطلوب ، فما العمل ؟ لقد طلبت زوجتى فى أول الأمر أن نحتفظ بهذه الفطائر فى السرداب ، ثم فكرت مليًا وقالت لى : « كل أنت هذه الفطائر أيها المغفل » ؛ ومن عادة زوجتى أن تدعونى وهى مضطربة النفس « بالمغفل أو الأفعى أو الشيطان » . وزوجتى دائماً مضطربة النفس . . وخلاصة القول : أخذتُ منها الفطائر وبلعتها بلعاً لشدة جوعى .

وبالأمس مثلا حرمتنى زوجتى الغداء قائلة : « ليس من داعٍ لإطعامك أيها المغفل » ، ولكن المعذرة ، سيداتى وسادتى ، (ينظر إلى الساعة) يبدو لى أننى ثرثرت وانحرفت عن الموضوع فلأتابع المحاضرة . . حقًا إنكم تفضلون الاستماع إلى رواية حب ، أو قطعة موسيقية ، أو أغنية عذبة (يغنى أغنية مطلعها) : « إننا لا نطرف بصرنا فى عجاج الوغى! » ، لا أذكر اسم مؤلف هذه الأغنية . . وبالمناسبة أحيطكم علماً بأن زوجتى ألقت على عاتقى فى مدرستها الموسيقية مهام أخر بالإضافة إلى الإدارة . . فأنا أدرس الحساب والطبيعيات والكيمياء والجغرافيا والتاريخ والآداب وغيرها . .

وتتقاضى زوجتى أجراً خاصًا على الرقص والغناء والرسم ، فى حين أننى أتولى بنفسى تدريس التلميذات تلك الدروس . . أما مدرستنا الموسيقية

هذه . فتتع فى زقاق الكلاب الخمسة : فى البيت رقم ١٣ : ويخيل إلىّ أن السبب فى فشلى فى حياتى هو لأننى أسكن فى بيت رقمه ١٣ ، ولأن بناتى ولدن فى اليوم الثالث عشر من أشهر السنة ، ولأن بيتى يحتوى على ١٣ نافذه .. ما عساى أن أقول لكم؟ . . بإمكان كل شخص منكم يريد مفاوضة زوجتى بصدد إدخال بناته فى المدرسة أن يزورها فى بيتها فى أى وقت يحلو له . أما برنامج المدرسة : فيباع عند البواب بثلاثين كوبيكاً (يخرج من جيبه بعض النسخ من ذلك البرنامج) أتريدون أن نتقاسم هذه النسخ ؟ . . إن ثمن النسخة الواحدة ثلاثون كوبيكاً فمن يرغب فى الشراء؟ . (سكون) ألا من راغب بينكم . . . لا بأس أبيعكم النسخة بعشرين كوبيكاً . سكون . حقاً إنه لشىء محزن . . . أجل إن بيتى رقمه ١٣ . . لا أفلح فى شىء . . لقد هرمت . . وسخفت . . فهأنذا أقف أمامكم محاضراً ، ويبدو لكم أننى مرح ؛ والواقع أننى أود من صميم قلبى أن أصرخ بكل ما أوتيت من قوة ، أود أن أطير إلى أقصى أطراف المعمورة . . آه ، ليس هناك من أبثه شكواى وأذرف الدمع أمامه ، تقولون لى : وأين بناتك ؟ فمن هن بناتى هؤلاء ؟ إننى أحدثهن وهن يقهقهن . . ولزوجتى من البنات سبع . . كلا ، آسف أظن أنهن ست (على عجل) كلا ، هن سبع . . وكبراهن أنا وتبلغ من العمر ٢٧ سنة . . أما صغراهن فيبلغ عمرها سبع عشرة سنة .

سيداتى وسادتى (يتطلع يمنة ويسرة) إننى تعس : لقد انقلبت رجلا أحمق ، وتحولت إلى شىء تافه ، أتراءى لكم كما لو كنت أسعد الآباء . . . ولكن هل أجرؤ على الظهور بغير هذا المظهر ؟ تصوروا أننى قضيت ثلاثاً وثلاثين سنة مع زوجتى ، ولقد كانت هذه الحقبة من الزمن أفضل سنى حياتى . . أى لست أفضلها على الوجه التام ، ولكنها تعاقبت مثل لمح البصر . فياليت الشيطان اختطف تلك السنين قبل أن ترانى

وأراها . . (يتطلع يمنة ويسرة) يظهر أن زوجتى لم تأتِ بعد ؛ وما دامت هى غائبة فسأحدثكم بكل شىء عنها . . إننى أخشاها جداً . أخشاها عند ما تتطلع فى وجهى بعينيها الملتهبتين . . أما بناتى فلن يتزوجن لأنهن محتجبات فى البيت ولا يحتككن بالرجال ، يضاف إلى ذلك أن زوجتى لا تقيم الحفلات والسهرات فى بيتها . إنها امرأة بخيلة ، سريعة الغضب ، سليطة اللسان ، وهذا ما ينفر منها الناس . . غير أننى أطلعكم على سرٍّ (يقترب من كوة الملقن) باستطاعة كل امرئ أن يرى بنات زوجتى فى الأعياد الكبرى عند عمتهن نتاليا سميونوڤنا ؛ وهى امرأة تعانى آلام الروماتزم وترتدى رداء أصفر نثرت عليه بقع سوداء وكأنها الصراصير ! . . ونتاليا هذه امرأة كريمة لا تبخل علىّ إذا كانت زوجتى غائبة بالقليل من الخمر (ينقف رقبته بأصبعه الوسطى)* وأحيطكم علماً بأننى أسكر من كأس واحدة ، وأشعر براحة فى النفس يلازمها فى الوقت نفسه حزن أعجز عن وصفه .

لا أدرى ما الذى يدعونى لتذكر سنى شبابى ، وما الذى يحثنى على الهرب ! . آه لو تعلمون (بصوت عال) كم أتعشق الهرب . . . أود أن ألقى بكل شىء وأهرب دون أن أتطلع إلى الوراء . . فإلى أين المفر ؟ لا فرق عندى بين مكان ومكان ، فالمهم هو أن أفرّ من هذه الحياة الرخيصة ، القذرة ، المنحطة ، هذه الحياة التى حولتنى إلى رجل أحمق حقير ، إلى هرم أبله يستحق الرثاء . أريد هجران هذه الزوجة الشريرة الحقود ، التى أذاقتنى مر العذاب خلال ثلاث وثلاثين سنة . . أريد الفرار من دروس الموسيقى والمطبخ ، ومن دراهم زوجتى ، وغيرها من صغائر الأمور . . أريد أن يستقر بى المقام فى مكان ناءٍ فى الخلاء

---

* إذا أراد الروسى أن يشرب الخمر عمد إلى النقف على رقبته بإصبعه الوسطى .

البعيد : فأنقلب هناك شجرة أو عموداً أو ألعوبة حقل . وأقبع تحت السماء الواسعة . وهناك أنسى . . أنسى كل شيء . . .

المعذرة سيداتى وسادتى . . أود ألا أذكر شيئاً عن ماضىّ أود أن أنزع عنى هذا الفراك القديم القذر الذى لازمنى منذ ثلاثين سنة خلت (ينزع عنه الفراك) إليك عنى أيها الفراك . . (يدوسه بقدميه) إليك عنى . . إننى رجل مسن فقير حقير أكل علىّ الدهر وشرب مثل هذه الصديرة (يعرض ظهره للجمهور) . . لا أريد شيئاً بتاتاً إننى أسمى وأشرف من أى طالب كان . لقد كنت يوماً فتى ذكياً ؛ تلقيت علومى فى الجامعة ؛ فراودتنى أحلام جمة وراودتها واعتبرت نفسى شخصاً مستكملا شروط الرجولة . وأما الآن فلا أريد شيئاً سوى الهدوء والراحة (ينظر يمنة ويسرة ويرتدى الفراك) .

سيداتى وسادتى . . .

إننى لأرى زوجتى بين الستائر ، فهى تنتظرنى هناك (ينظر إلى الساعة) لقد انقضى الوقت فرجائى إليكم إذا سألتكم عن المحاضرة أن تقولوا لها إنها كانت موفقة . . وإن المغفل كان خطيباً مفوهاً (ينظر يمنة ويسرة ويسعل) إنها تتطلع إلى ناحيتى (يرفع صوته) أجل . . ولما كان التبغ يتضمن ذلك السم المريع الذى حدثتكم عنه الآن ، فإننى لا أنصح أحداً بالتدخين ؛ وأمنى نفسى بأن محاضرتى هذه (حول ضرر التبغ) ستأتى بالفائدة المرجوة . . لقد قلت كل شيء . (ينحنى ويخرج بخيلاء)

(يُسدل الستار)